2025 | JUNE Vol.16.No.67 | الصفحة(169 -188) | الاصدار (16) ,العدد 67 , حزيران

IRAQI Academic Scientific Journals

العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

مجلة الدراسات التاريخية والحضارية

Journal of historical & cultural studies
(Print - ISSN) 2023-1116 (Online) 2663-8819
Journal Homepage
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/396

رعاية الايتام في العصر العباسي

Orphan care in the Abbasid era

اسم الباحث/ ة (1): م.د حازم سامي ياسين

Name of The Researcher(1): Dr. Hazem Sami Yassin

الدرجة العلمية: دكتوراه

Degree: Dr

التخصص العلمي: تاريخ

Scientific specialization: History

مكان العمل: كلية التربية بنات / جامعة تكريت

Place of work: College of Education for Girls / Tikrit University

الكلمات المفتاحية: العصر، التكافل الاجتماعي، الايتام، العباسي، رعاية

Keywords: Age, social solidarity, orphans, Abbasid, care

الاستلام Received:

القبول Accepted:

النشر المباشر– حزيران JUNE / 2025 Available Online:

Corresponding author:

الملخص باللغة العربية:

شهد العصر العباسي ازدهاراً كبيراً في مختلف جوانب الحياة، لاسيما في المجالين الاجتماعي والإنساني، اذ اولى المجتمع الإسلامي وفي مقدمته الخلفاء العباسيون اهتماماً بالغاً برعاية الفئات الضعيفة والمحتاجة، وعلى رأسهم الايتام، فقد كانت رعاية اليتيم جزءاً اصيلاً من تعاليم الدين الإسلامي، مما دفع الدولة العباسية الى اتخاذ اجراءات عملية لضمان كفالتهم والسعي لتوفير حياة كريمة لهم، من خلال انشاء المؤسسات الخيرية وتخصيص الأوقاف لخدمتهم، الى جانب الدعم المجتمعي الذي ساهم وبشكل فعال في اندماجهم في الحياة العامة لإشعارهم انهم جزءا لا يمكن فصله عن المجتمع، ويهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على أساليب ووسائل رعاية الايتام في العصر العباسي، واستكشاف مدى تطور تلك الرعاية واثرها في بناء مجتمع متماسك وعادل.

Summary in English:

The Abbasid era witnessed a great flourishing in various aspects of life, especially in the social and humanitarian fields. The Islamic community, led by the Abbasid caliphs, paid great attention to caring for vulnerable and needy groups, with orphans at the forefront. Caring for orphans was an integral part of Islamic teachings, which prompted the Abbasid state to take practical measures to ensure their support and strive to provide a decent life for them. This was achieved through the establishment of charitable institutions and the allocation of endowments (awqaf) for their service, in addition to community support, which contributed significantly to integrating orphans into public life to make them feel they are an inseparable part of society.

This research aims to shed light on the methods and means of orphan care during the Abbasid era, to explore how this care developed, and to examine its impact on building a cohesive and just society.

Corresponding author:

المقدمة:

بسم الله والحمد لله، وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على محمد ابن عبدالله، وعلى اله وصحبه ومن والاه... اما بعد...

فمنذ بزوغ فجر الإسلام وقيام الحضارة العربية الإسلامية تغيرت ملامح ومفاهيم كثيرة، وظهرت قيماً جديدة ابهرت العالم، وكتبت للاسلام التفوق، ففتحت القلوب، وايقظت العقول، ونطقت الالسن بالحق، فتجمعت الأمم تحت لوائه، وامدته بالنصر، فكانت اية الإسلام الالتقاء بالفطرة وموافقة طبائع الأمور، واحالة الارتباط بالله الواحد الاحد.

وقد دأب المجتمع الإسلامي منذ ظهوره وعبر تاريخه الطويل على رعاية الايتام سواء أكانت تلك الرعاية على المستوى الحكومي او الأهلي ضمن منظور القران والسنة على اعتبار انهما المصدرين التشريعيين التي لايختلف عليهما احد، فترك ذلك اثراً حميداً ساهم في بناء الحضارة الإسلامية بشكلٍ أساسي عبر تاريخها وخلال عصورها.

تعد رعاية الايتام من اسمى صور التكافل الاجتماعي التي حث عليها الإسلام، فاليتيم هو اكثر شخص يحتاج الى رعاية تعوضه عن فقدان السند الاسري والنفسي، وتكمن أهمية ذلك في بناء مجتمع متماسك، اذ تسهم رعاية الايتام في تحقيق العدالة الاجتماعية والحد من مشكلات الفقر والانحراف المجتمعي.

وفي الحقيقة ان اليتم مشكلة كبيرة في المجتمعات اذا لم يتم احتوائها ومعالجتها بالشكل المناسب وتعويض اليتيم الم الفقدان، فالايتام جزء من المجتمع وتزداد نسبتهم كلما ازدادت الحروب والكوارث، لذا من الضروري إيجاد طرق مناسبة لرعايتهم، واكثر من أوجب ذلك هو الدين الإسلامي، وماتلك الايات

Corresponding author:

القرانمية والاحاديث النبوية الا دليل دامغ على تلك الرعاية، وقد ترجمت القرون الأولى ذلك عملياً من خلال الاهتمام والرعاية التي قدمت للايتام وتعاملت معهم على انهم امرا واقعاً، فإذا ماتتبعنا التاريخ الإسلامي نجد وبوضوح مقدار الحرص على رعاية الايتام وكفالتهم.

رعاية الايتام :

معنى اليتيم:

يعرف اليتيم بأنه من مات ابوه وهو صغير دون سن البلوغ، فإن بلغ زالت عنه التسمية، واليتيم في الناس من مات ابوه، وفي البهائم من ماتت امه، ولا يقال عن من ماتت امه في الناس يتيم بل منقطع، اما اللطيم من مات ابواه، وقد يزول اليتم الحقيقي ويبقى المجازي، مثلما فعلت قريشاً عندما كانت تنادي محمداً يتيم ابي طالب[1].

الايتام قبل الإسلام:

لقد كرم الله تعالى الايتام خير تكريم فأوصى بهم بكثير من المواضع في القران الكريم كما سيأتي ذكر ذلك لاحقاً، اما وضع الايتام فقد كانت ظاهرة التبني طبيعية في المجتمع العربي قبل الإسلام، وهو ان يتخذ الرجل يتيماً يجعله كأحد ابنائه الذين هم من صلبه، وان يدعى هذا اليتيم بإسمه، فلا تحل له محارم الرجل الذي تبناه، واولاده وبناته هم اخوة له، وقد لصقت هذه التسميات ببعض الصحابة مثل المقداد بن الأسود(رضي الله عنه)[2].

وعلى الرغم من كل تلك الحقوق التي أعطيت لليتيم الا انه لم تكن نظرة المجتمع لهم خالية من الاستعطاف والظلم المجحف وان كان من يتبناه سيداً لقريش، ومن ذلك ماورد عن موقف السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها والمرضعات اللاتي قدمن معها الى مكة ليرضعن الأولاد، اذ قالت:" **فما منا الا**

Corresponding author:

امرأة وقد عرض عليها رسول الله فتأباه، اذ قيل لها: انه يتيم، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من ابي الصبي، فكنا نقول :يتيم! وماعسى ان تضع امه وجده ..."[3].

وربما هذه احدى الأسباب التي كانت تمنع قريشاً من ان تتبع الرسول ﷺ لتكبرهم وجبروتهم اذ كانوا يرون اليتيم اقل شأناً وانزل مقاماً منهم، فقد اعترضوا عليه اذ قالوا:" **ماوجد الله من يرسله الا يتيم ابي طالب**"[4]، اما رأس الكفر ابا جهل فكان يرى من المعيب ان يتبع رسول اللهﷺ لأنه نشأ يتيماً، فيقول للوليد بن المغيرة: **يا ابن عبد شمس، كنا نسميه في صباه الصادق الأمين، فلما تم عقله، وكمل رشده، نسميه الكذاب الخائن؟!! والله اني لأعلم انه صادق، قال: فما يمنعك ان تصدق وتؤمن به؟!، قال: تتحدث عني بنات قريش اني اتبعت يتيم ابي طالب...**"[5]، وانما كانوا يقولون ذلك للإستخفاف والاستهزاء بالرسول الكريمﷺ [6].

ومما لاشك فيه انه كان اكل مال اليتامى من المظاهر الشائعة عند العرب قبل الإسلام، الامر الذي دفع المهاجرين الى الحبشة من توضيح الرسالة الإسلامية للنجاشي ملك الحبشة، اذ خاطبه جعفر بن ابي طالب خطيب الصحابة:"... **فدعانا الى الله وتوحيده...ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم...**"[7].

الايتام في الإسلام:

عندما بزغ فجر الإسلام وآن الأوان للحق ان ينتصر اقرت الشريعة الإسلامية بوجوب الاهتمام بالايتام ورعايتهم وجاء ذلك في المصدرين التشريعيين للدين الإسلامي وهما القران الكريم وماجاء فيه من نصوص واضحة، والسنة النبوية وماكان فيها من اقوال وافعال لصاحبها عليه الصلاة والسلام، وعلى هذا الأساس سار المسلمون في معاملتهم على مر الازمان التاريخية لليتامى اهتماما وتكريما، ورعاية وعناية، واحسانا وانفاقا.

Corresponding author:

وجاء في الذكر الحكيم الكثير من الشواهد القرانية على رعاية الايتام، منها قوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيم}**[8]، وقوله تعالى: **{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا}** [9]، وقوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}**[10]، كما كان لليتامى حق فيما يغنم المسلمون من غنائم الحروب، كما في قوله تعالى: **{مَّا أَفَاء اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}**[11]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...** ﴾[12].

ولم تغفل كتب السنة النبوية الشريفة عن الايتام اذ خصت الايتام وحثت على الاعتناء بهم ورعايتهم والاهتمام بهم، فقد ذكر عن الرسول (صلى الله عليه وسلم)انه قال: **(أنا وكافِلُ اليَتيم كهاتَيْنِ في الجنَّةِ" وقَرَنَ بينَ إصبَعَيه: الوسطَى والتي تلي الإبهامَ)**[13] ، وقال ايضاً: **(اجتنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقاتِ" قيل: يا رسولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قال: "الشِّرْكُ بالله، والسحرُ، وقَتلُ النفسِ التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيم، والتَّوَلِّي يومَ الزَّحْفِ، وقَذْف المُحْصنَاتِ الغافِلات المؤمنات)**[14]، وبهذا الحديث يظهر وبصورة جلية تحذير الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم للمسلمين فيما يخص اموال اليتامى لانها محرمة كحرمة الشرك بالله والسحر وغيرها مما ذكر سلفاً في الحديث الشريف، وهذا بحد ذاته يكفي لإدراك ذلك الذنب العظيم الذي قد يقع فيه البعض.

كما تجلت رعاية الايتام بأبهى صورها في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم)من خلال العديد من المواقف النبيلة، ومن الشواهد التاريخية على ذلك انه اشترى مكان يستخدم لتجفيف التمر يسمى(مربد) كان لغلامين يتيمين يعيشان في المدينة تحت رعاية الصحابي الجليل اسعد بن زرارة رضي الله عنه فبنى

Corresponding author:

عليه مسجده (ﷺ) بعد ان ارادا إعطائه إياه بلا ثمن فأبى رسول الله(ﷺ) ذلك وابتاعه منهما[15] ، وهذا ان دل فإنما يدل على ضرورة الحرص على أموال اليتامى ووجوب استيفاء تلك الأموال اصلاحاً وحفاظاً عليها، كما اشترى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)للصحابي محمد بن عبدالله بن جحش ارضاً بخيبر من تركة والده الشهيد عبدالله بن جحش رضي الله عنهما الذي استشهد في معركة احد سنة 3 هـ ، كما واقطعه داراً بالمدينة المنورة[16]،

ويعني هذا ان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) قد ارسى أسس ومبادئ مهمة لرعاية الايتام وضرورة تنمية أموالهم واشغالها في محاولاً الحفاظ عليها بالطرق المشروعة.

وعلى هذا النهج سار الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم، فكانت ام سعد بنت سعد بن الربيع يتيمة وابوها الصحابي الجليل سعد بن الربيع احد نقباء الأنصار استشهد يوم احد في حجر الخليفة ابو بكر الصديق(ﷺ) وكان يكرمها لمكانتها ونسبها وكان يلقي ثوبه لتجلس عليه، فسأله عمر بن الخطاب(ﷺ) عنها فقال له هذه ابنة من هو خير مني ومنك[17] ، وكان امير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) يشرف على أموال اليتامى بنفسه ويتفقد احوالهم واملاكهم[18]، كما اعتنى امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ﷺ) بأموال يتامى ابي رافع مولى الرسول محمد(ﷺ) بعد وفاته وكان حريصاً على زكاتها، وبقي على حاله حتى قبضها أولاد ابي رافع كاملةً[19] ، وكان دائماً يوصي بالايتام حتى في وصيته اذ قال:"... **الله الله في الايتام، فلا تعنوا افواههم، ولا يضيعن بحضرتكم...**"[20] ، كما ذُكر عن ابن عمرَ رضي الله عنه، انَّه كان يكون عنده اليتامى، فيستسلف أَموالهم لينميها ويحافظ عليها من الهلاك، ثُم يُخرِج صَدَقَتَهَا من أَموالِهم، وهي دين عليهِ[21]، كما فعلت ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما كانت تتاجر في أموال بعض اليتامى وتزكي عنها[22].

ومن هذا المنطلق سار المسلمون على خطى ثابتة واسس راسخة بناها صاحب الرسالة الرسول الكريم محمد (ﷺ) للاعتناء ورعاية هذه الفئة الضعيفة التي لطالما كانت تحتاج تلك الرعاية والاهتمام اكثر

من غيرها، ففي عهد الامويين لم يكن هناك اهمال للايتام بل زادت رعايتهم نظراً لتوسع الدولة العربية الإسلامية وزيادة اعدادهم نتيجة الفتوحات الإسلامية واستشهاد اعداد كبيرة من المسلمين، فضلاً عن تدفق الأموال من المدن والامصار التي فتحت آنذاك، فيروى ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان(ﷺ) كان يهتم بنفسه برعاية الايتام وإدارة شئونهم وتفقد احوالهم، والفرض لهم، وقضاء حوائجهم[23]، كما اعتنى الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ) بشريحة الايتام اذ قام بتخصيص الارزاق والرواتب لهم ليمنعهم من السؤال والاذلال، وانشأ لهم مراكز مختصة برعايتهم وقضاء حوائجهم، فضلاً عن تعيين من يؤدبهم[24] ، كما احتفى الامويين بالمناسبات العامة لاسيما الوليد بن عبد الملك منها مناسبة الختان والتي كانت موضع اهتمامه فيأمر ان تضرب الدفوف وتقدم الهدايا لليتامى المختونين[25] ، كما كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يهتم ويرعى اليتامى حتى اصبح في عصره منادي خاص ينادي على المساكين واليتامى ليرعاهم، وكتب بذلك الى ولاة الامصار، كما امرهم ان يرفعوا اليه كل يتيم وكل من لا احد له خوفاً من ان يغفل عنهم الخليفة[26].

ويبدو ان تلك الإجراءات كانت بمثابة تكليف شرعي حرص الخلفاء والامراء على اعطاءه حقه والايفاء به نظرا لما لهذه الفئة من أهمية في الدين الإسلامي.

وحقيقة القول انه لا يكاد اي مجتمع انساني في أي عصر كان يخلو من وجود شريحة الايتام بين افراده، وبأختلاف المجتمعات تختلف النظرة اليهم، وفي العصور التي تكون فيها الحروب حاضرة تزداد نسبة الايتام ويشكلون الحيز الأكبر من المجتمع لاسيما في العصرين الاموي والعباسي، فضلاً عن الأوبئة التي كانت تنتشر في المجتمع الإسلامي آنذاك، مما جعل الدولة تولي اهتمامها الكبير بهذه الفئة من اجل تيسير شؤونهم وتمكينهم من الانصهار بشكل اكبر في المجتمع الذي ينتمون له.

Corresponding author:

الايتام في العصر العباسي:

فمنذ بداية تأسيس الخلافة العباسية ووضع اللبنة الأولى لها كان لها دور حيوي وبناء في رعاية الايتام لما لهم دور في تحقيق العدالة وتأسيس مؤسسات الدولة، اذ تم اختيار علي بن عبد الله بن العباس لقيادة آل العباس بعد ان تنازل له ابا هاشم بن محمد بن علي بن ابي طالب بالقيادة ومن ثم الخلافة بعد سقوط الدولة الاموية لما رآى فيه من الحنكة والتدبير[27].

وكان الخليفة ابو جعفر المنصور كثير الاعطيات والانفاق على اليتامى حتى انه كان يحرص على تقسيم النفقات عليهم والاشراف عليها بنفسه[28]، ومما لاشك فيه ان الخليفة المنصور كان يهتم بالايتام اهتماماً خاصاً نظراً لأتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وازدياد نسبة هذه الشريحة المهمة، ولما تقدمه مستقبلاً من شأنه ان يؤثر على مؤسسات الدولة ومجتمعها.

واعتنى قسم من العلماء والزهاد بالايتام رعاية خاصة واحسنوا تربيتهم وتأديبهم، حتى اصبحوا فيما بعد من العلماء الذين يؤخذ بمشورتهم ويعمل بها، ومن هؤلاء العالم الجليل واحد اقطاب هذه الامة ابو حنيفة النعمان(ت150هـ) الذي كان يهتم ويعلم ابو يوسف القاضي صاحب كتاب الخراج الذي كان يتيماً فأحسن اليه ابو حنيفة حتى اصبح قاضي الخلافة[29].

وفي سنة 302هـ في خلافة المقتدر وصل الاهتمام باليتامى فرضاً يقدم حتى على ابناء الخليفة، فقد تم ختان عدداً كبيرا من الايتام وتم توزيع الاعطيات والكسوة عليهم احتفالاً بتلك المناسبة وتم بعدها ختن أولاد الخليفة، ويقال انه بلغ الانفاق على ذلك الختان نحو ستمائة الف دينار[30] .

وكان القادر بالله (381–422هـ) رجلاً من اهل الستر والديانة، كثير البر والصدقات، وكان يلبس لبس العوام وينزل يجوب بغداد متفقداً أحوال الناس لاسيما الايتام والارامل في الأماكن المعروفة والتي

Corresponding author:

تكون غالباً مكتظة بالناس، فرآى غلاماً يتيماً له دكان كثير النعمة لكن على دكانه حجر واراد ابن الحاجب ان يفك حجره ليبتاعه منه طمعاً فيه فطلب من القاضي ان يساعده لكن القاضي امتنع وعندما ارسل اليه كان خائفاً يدعو الله ان يكفيه شره حتى التقى برجلاً وقور الهيئة وسأله فأخبره بقصته مع الحاجب فكتب الى الحاجب يأمره بإكرام القاضي والاعتذار منه، وتبين فيما بعد انه الخليفة القادر بالله [31].

ولم يكن الخليفة العباسي المستنصر بالله(623-640هـ) اقل من سابقيه، بل كان شهماً جواداً له من الاثار الجليلة مابقي شاخصاً ردحاً من الزمن مثل المدرسة المستنصرية، وكان من اعماله بناء القناطر والحانات ودور الضيافة وملجأ للايتام ليأويهم واجرى العطاء لهم واهتم بتعليمهم، وكان يقول:" **اني أخاف الا يثيبني الله على ماهبه واعطيه لأن الله تعالى يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وانا والله لافرق عندي بين التراب والذهب**"[32]

هذا ولم يقتصر الاهتمام والرعاية على أحد معين وانما كان واجباً اعده البعض شرعياً والزامياً لكل من يستطيع ان يقدم معروفاً لهذه الفئة المهمة، فنرى القائد نور الدين محمود الزنكي يستحدث اوقافاً خاصة تجري على من يعلم الايتام القراءة والكتابة وجعل لهم كسوة ونفقة لما يبذلوه من جهد عظيم، فضلا عن اهتمامه بالارامل والمحتاجين وتخصيص لهم عطاءاً شهرياً من بيت المال[33].

كما أولى الملك الظاهر الايوبي اهتماماً كبيراً بالايتام اذ فوض رعايتهم لأشخاص يمكن الوثوق بهم والاطمئنان لأمانتهم لما في هذا الامر من اهمية [34] ،حتى اصبح للايتام مخازن خاصة بهم يُخزن فيها اعطياتهم وارزاقهم، يشرف عليها رجالات عُرفوا بصدقهم وعدالتهم[35] ، واسس مكتباً خاصاً لتعليم الايتام القراءة والخط واجرى عليهم الخبز كل يوم وكسوة للفصلين[36]، ولم يقتصر امر رعاية الايتام على الخلفاء بل كان بمثابة تكليف شرعي مسؤول عنه كل من ولي سلطة ما على المسلمين، كالوزير، والأمير،

والقاضي، وغيرهم، فقد كان الامير مظفر الدين[37] مهتماً بالايتام راعياً لهم منفقاً عليهم حتى انشأ لهم داراً خاصة يزورهم بين فترة وأخرى يتفقد احوالهم ويعتني بهم[38].

كما كان قاضي تعز ابو الخطاب عمر بن ابي بكر[39] حريصاً اذا مامات احد من المسلمين وله أولاد صغار ان يجهزه ويقضي دينه ان كان عليه دين ومن ثم يأمر المؤذن ان ينادي ان توفي فلان وله من الأولاد كذا وكذا ومن الأموال كذا وكذا وعليه دين كذا وكذا فقضي الدين وبقي العيال، وكان اذا صرف على الايتام من أموالهم امر المنادي ان ينادي كل شهر انه قد صُرف من مالهم كذا وبقي كذا حتى يعلم الناس كم صُرف وكم بقي وعند من أموالهم[40]، ويبدو ان ذلك كان من باب المحافظة على أموال الايتام من جهة، وان يُعلم الناس ان فلان ابن فلان يتيم ليترفقوا ويعتنوا به من جهة أخرى.

وتعدى امر الاهتمام والرعاية الى الناس المدنيين لاسيما التجار او ميسوري الحال، مثل الرجل العابد الزاهد حسان بن سعيد[41] الذي كان كثير الانفاق على المحتاجين والارامل والايتام يتفقد احوالهم ويبذل لهم ماعنده من أموال وكسوة لاسيما البنات منهم وتجهيزهن كل موسم، وقيل انه اشترى ثوباً من أرملة ثمنه نصف دينار كان تنوي بيعه للمشاركة بالانفاق على بناء جامع فأشتراه منها بألف دينار وخبأ الثوب كفناً له، كما قيل انه كان يكسو الف فقير ويتيم في السنة[42].

ويبدو ان اتساع ارض الخلافة من جهة، وازدياد اعداد اليتامى من جهة أخرى جعل الخلافة تمنح تفويض لأناس كانت تراهم اهلاً للصدق والأمانة للعمل بالنيابة عنها لرعاية الايتام، فضلا عن ان البعض كان يرى ان هذا العمل هو تكليف شرعي وواجب انساني لايمكن اهماله.

وهكذا كانت رعاية الايتام في العصر العباسي وماقبله حتى انتجت مجتمعات متجانسة مندمجة مع بعضها لافروق بينها، فكان اليتيم كغيره مما اتاح له فرصة العيش بسلام واستقرار في وسط المجتمع، وهذا الشيء جعل الايتام ومنذ وقت مبكر يبحثون عن العمل لأعالة انفسهم واسرهم، فكان لهم دور في الحياة الاجتماعية في العصر العباسي لاسيما في مجال التجارة والصناعة كالصناعات اليدوية منها الخياطة والحياكة فضلا عن مساهمتهم الحياة الثقافية وتوثيق الحديث، ومن الشواهد التاريخية على ذلك ابي منصور الشيحي عبد المحسن[43](421-489هـ) الذي عمل تاجراً ومحدثاً في وقت واحد وانه كان يسمع من شيوخ الامصار لاسيما من شيوخ مصر ودمشق، وكان الى جانب ذلك يكتب مايسمع من حديث[44].

ومن المعطيات الثقافية للأيتام والتي استفاد المجتمع الإسلامي من خبراتهم الثقافية والعلمية والتي تظهر من خلال تواجدهم في أسواق بغداد واتخاذها مكاناً لمتابعة الدرس اذ كان بعض الايتام يشتغل فيها، منهم ابو جعفر محمد بن احمد السمناني وقيل السلمي الذي كان ينقش الفضة وانه قد سمع من العلماء المشهورين في عصره[45]، وقال عنه الخطيب البغدادي بأنه ثقة[46].

وتجدر الإشارة الى انه هناك بعض الشواهد تاريخية كثيرة على عمل الايتام في الأسواق منها ماجاء ذكره عن احمد بن الحسين الواعظ(ت424هـ) الذي كان يبيع السمك في السوق حتى أواخر عمره ترك بيع السمك وصاحب الصوفية[47].

ولابد من القول ان بغداد غدت في العصر العباسي اوج عظمتها وازدهارها حتى جاء اليها من كل حدب وصوب يتمتعون بعمرانها ويستقون من علومها ومعارفها مستظلين بعلمائها ومثقفيها الذين لم يكن

Corresponding author:

شارعاً في أسواق بغداد يخلو من مجالس علمهم، فكانت محطة لإلتقاء الادباء والشعراء وبالنتيجة قد أدى ذلك الى ازدهار الأسواق لاسيما سوق الوراقين الذي كان اساسياً في نشر تلك العلوم والمعارف وكانت هذه احدى محطات تواجد الايتام وانتشارهم كون هذه الأماكن اكثر أماكن بغداد اكتظاظاً بالناس مما يتيح الاستقاء من العلم المتاح من جهة، وتوفر سبل العيش من خلال الاعمال المتوفرة في السوق من جهة أخرى[48].

وهناك ايضاً جانب مشرق ظهر في العصر العباسي كون هذا العصر من ازهى العصور الإسلامية لاسيما في مجال العلم والعلماء والاهتمام بالعمران وبناء مؤسسات الدولة التي من دورها ان تخدم المجتمع، فقامت الخلافة بإنشاء البيمارستانات الخاصة بالايتام وذوي الامراض والاحتياجات الخاصة[49]، وتم ذلك من خلال ماقدمه الخلفاء من خدمات في مجال رعاية الايتام والمحتاجين وصحتهم وتقديم افضل الرعاية الطبية في كافة مجالاتها[50].

لذلك قامت الخلافة بتقديم كل الوسائل وتذليل كل العقبات من اجل تحقيق نشاط عمراني يخدم المجتمع والذي يعد الايتام جزءاً منه، وكان الخلفاء يضعون شروطاً عند اخيار البيمارستان من اجل تحقيق الفائدة للمرضى ومنهم الايتام كإن يكون البيمارستان على ضفاف الأنهار او قرب الجوامع[51].

ويبدو ان هذا الامر له تبعات كثيرة منها نفسية فرؤية المياه او الناس يبعث الطمأنينة للإنسان ليخرج من الوحدة التي يعيشها بمرضه ويشعر بأريحية كبيرة مما يساعده على الشفاء بشكلٍ اسرع.

ولم يقتصر الامر على بناء البيمارستانات وتطويرها فقط وانما تعدى الامر الى انشاء مراكز ترفيهية مثل المكتبات العلمية مثلما فعل هارون الرشيد في بغداد وولاها ليوحنا بن ماسويه النصراني السرياني والذي كان مترجماً للكتب الطبية[52].

Corresponding author:

وبطبيعة الحال فإن ذلك يعطينا انطباعاً ايجابياً للدولة العربية الإسلامية وسياساتها التي كانت قائمة آنذاك اذ انها كانت تنتهج منهاجاً عادلاً مع رعيتها فلا تفرق بين مسلماً او ذمياً، صغيراً او كبيراً، قريباً او بعيداً، فتولي المناصب حسب الكفاءة والخلفية العلمية فإذا ماتمحصنا كتب التاريخ نجد ان الكثير ممن هم من غير الملسمين قد تولوا مناصب إدارية ورفيعة كانت على تماس مباشر بالخلافة من جهة، وان هذه المناصب لها نفوذها المستقل وقراراتها كانت نافذة في الدولة العربية الإسلامية من جهة أخرى، والامثلة كثيرة على ذلك.

ومما لاشك فيه ان تلك العدالة كانت تنطبق على الايتام ورعايتهم والاهتمام بهم فتلك من حقوقهم على الدولة العربية الإسلامية، فنجد مثلاً ان عملية تطور البيمارستانات كانت من اجل ان تعم الفائدة على جميع شرائح المجتمع ولاسيما الايتام لما تقدمه من رعاية تكفل لهم الرعاية الطبية[53] ، والتي شملت اهل الذمة ايضاً على اعتبار انهم جزء من المجتمع[54].

كما أشار الى ذلك ابن ابي اصيبعة عندما امر الخليفة العباسي المقتدر بالله الى سنان بن ثابت[55] ان يهتم بأيتام اهل الذمة وان يعالجهم اذا مااحتاجوا الى الأطباء[56] ،واوعز ايضاً بإن ينتقل الأطباء الى المناطق لتقديم الرعاية الصحية للايتام وذوي الاحتياجات الخاصة من المسلمين والطوائف الأخرى[57].

ولم يقتصر اهتمام الخلفاء العباسيين على انشاء البيمارستانات وتطويرها لتقديم افضل رعاية صحية واجتماعية للمرضى، وانما تعدى الامر الى الوزراء ومنهم وزير المتوكل الفتح بن خاقان(ت247هـ) الذي قدم خدمات جمة لكافة فئات المجتمع ومنهم اليتامى[58]، وكذلك الوزير علي بن عيسى الجراح(ت302هـ) والذي انشأ بيمارستان في بغداد اهتمت بفئات المجتمع وعلى رأسهم اليتامى[59].

Corresponding author:

نتائج البحث:

1-أظهرت الدراسة ان الدين الإسلامي وضع رعاية الايتام في منزلة عظيمة، وجعل كافلهم في منزلة قريبة من الرسول الكريم محمدﷺ في الجنة مما شكل دافعا قويا للمسلمين للاهتمام ورعاية هذه الفئة.

2-اولت الدولة العربية الإسلامية في كل عصورها اهتمامها الواضح بالايتام من خلال تنظيم شؤونهم وتخصيص جزء من موارد بيت المال لرعايتهم وتوفير احتياجاتهم من مأكل وملبس وتعليم.

3-تبين ان نظام الوقف كان من اهم الوسائل التي ساهمت في تمويل رعاية الايتام في العصر العباسي، اذ أوقف العديد من الخلفاء والأغنياء املاكهم لصالح الايتام ورعايتهم فتم توفير جميع الضروريات الحياتية لهم كالمأكل والمشرب والملبس وغيرها.

4-اتضح ان التعليم كان متاحاً للايتام الى جانب غيرهم من خلال انتشار الكتاتيب والمدارس في المدن الإسلامية، وكان ينظر الى هذه المؤسسات انها وسيلة لدمجهم في المجتمع وتأهيلهم بشكل إيجابي.

5-كان المجتمع العباسي مجتمعاً مسانداً للايتام، شجع على حسن المعاملة والرفق باليتيم، وذلك بفضل التربية الدينية والثقافة الإسلامية التي كانت سائدة آنذاك.

6-التكافل الاجتماعي الذي جاء به الإسلام كان ضروري لتحقيق الامن المجتمعي وتحسين واقع الاسرة المسلمة والتي كانت قد تعرضت لفقدان الاب او الام.

Corresponding author:

الهوامش:

[1])الهروي ، ابو منصور محمد بن احمد الازهري (ت370هـ)، تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي ،(بيروت-2001م)، 241/14-242 ؛ ابن منظور،محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ)،لسان العرب، دار صادر، ط3 ،(بيروت-1414هـ)،645/12؛ الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت1205هـ)، تاج العروس في جواهر القاموس، مجموعة محققين، دار الهداية، (بيروت-د.ت)، 134/34.

[2]) المقداد بن الأسود: هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك القضاعي الكندي صاحب رسول الله عليه الصلاة والسلام ومن السابقين الاولين شهد بدراً والمشاهد الأخرى وروى الحديث ولكن كان يقال له ابن الأسود لانه تربى في كنف ورعاية الأسود بن عبد يغوث الزهري. الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد(ت748هـ)، سير اعلام النبلاء، مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت -1405هـ)، 385/1-386.

[3])ابن هشام، ابو محمد جمال الدين عبد الملك(ت213هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا واخرون، مطبعة مصطفى البابي واولادهـ، ط2،(مصر-1375هـ)، 162/1-163؛ هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، مؤسسة الرسالة، ط14، (بيروت-1416هـ)، ص37-38.

[4])القرطبي،شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد(ت671هـ)، الجامع لأحكام القران، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض-1423هـ)، 306/8.

[5]) القرطبي، الجامع لأحكام القران،170/16.

[6])السرخسي،محمد بن احمد بن ابي سهل(ت383هـ)، المبسوط، دار المعرفة،(بيروت-1414هـ)،30/10.

[7])ابن خزيمة، ابو بكر محمد بن إسحاق(ت311هـ)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق : محمد مصطفى الاعظمي، المكتب الإسلامي،(بيروت-د.ت)،13/4 ، برقم 2260؛ هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص75.

[8]) سورة البقرة: الاية 215

[9]) سورة البقرة: الاية 2

[10])سورة النساء: الاية 10

[11]) سورة الحشر: الاية 7

[12]) سورة الانعام: الاية 152

[13]) ابو داود، سليمان ابن الاشعث ابن إسحاق ابن بشير السجستاني(ت275هـ)، سنن ابي داود، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمد كامل قرهـ بللي، دار الرسالة العالمية، (د.م-1430هـ)،461/7.

[14])ابو داود، سنن ابي داود، 498/4.

[15])البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط3،(بيروت-1407)، 1421/3، برقم 3694.

[16]ابن سعد، أبو عبد الله مُحَمَّدبن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي(ت230هـ)، الطبقات الكبرى،تحقيق: احسان عباس، دار صادر،(بيروت_1968م)، 91/3؛ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد(ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة

Corresponding author:

الاصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل،(بيروت-1412هـ)،1374/3؛ ابن حجر، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني(ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية،(بيروت_1415هـ)، 19/6.

[17] داوودي، صفوان عدنان، زيد بن ثابت كاتب الوحي وجامع القران، دار القلم،ط2،(دمشق-1999م)،ص135.

[18] الواقدي،ابو عبداللهـ محمد بن عمر بن واقد(ت207هـ)، فتوح الشام، دار الكتب العلمية، (بيروت-1417هـ)،85/1

[19] الدارقطني، ابو الحسن علي بن عمر بن احمد(ت385هـ)، سنن الدارقطني، تحقيق: شعيب الارنؤوط واخرون،مؤسسة الرسالة،(بيروت-1424هـ)، 6/3، برقم 1974.

[20] الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، ط2،(بيروت-1387هـ)،147/5؛ ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر(ت774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق:علي شيري، دار احياء التراث العربي، (د.م-1408هـ)،327/7.

[21] الصنعاني، ابو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري(ت211هـ)، المصنف، تحقيق: حبيب رحمن الاعظمي، المجلس العلمي،(الهند-1403هـ)، 70/4؛ابو عبيد، القاسم بن سلام بن عبداللهـ الهروي(ت224هـ)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر، (بيروت-د.م)، ص549.

[22] ابو عبيد، الأموال، ص549

[23] المسعودي، علي بن الحسين (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تعليق: قاسم وهب، وزارة الثقافة، (دمشق-1988م)، 298/2.

[24] ابن كثير،البداية والنهاية، 186/9 ؛ الذهبي، شمس الدين ابو عبد اللهـ بن محمد بن احمد(ت748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،ط2،(بيروت-1413هـ)، 500/6.

[25] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر(ت911هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق:حمدي الدمرداش ، مكتبة نزار مصطفى الباز، (د.م-1425هـ)، ص168؛الدرايسة، وداد عوض، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصر الاموي(40-132هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة اليرموك ،كلية الاداب،قسم التاريخ،(الأردن-1994م)،ص190.

[26] ابن كثير، البداية والنهاية، 225/9.

[27] الخضري بك، الشيخ محمد، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية والدولة العباسية، مراجعة: نجوى عباس، مؤسسة المختار،(القاهرة-1424هـ)، ص15.

[28] ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،(بيروت-1412هـ)، 16/8.

[29] ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس، ابي حفص(ت749هـ)، تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، (بيروت-1417هـ)، 197/1.

[30] ابن الجوزي، المنتظم، 150/13؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 276.

[31] ابن الجوزي، المنتظم، 354/14.

Corresponding author:

[32] الخضري بك، محاضرات، ص 447.

[33] ابن كثير ، البداية والنهاية،344/12.

[34] اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد(ت726هـ)، ذيل مرآة الزمان، وزارة التحقيقات الهندية، ط2، (القاهرة-1413هـ)، 325/2.

[35] اليونيني، ذيل مرآة الزمان،283-282/3

[36] ابن تغري بردي، ابو المحاسن يوسف بن عبدالله الظاهري جمال الدين(ت874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة المصرية، دار الفكر،(مصر-د.ت)، 121/7.

[37] مظفر الدين: هو كوكبوري بن علي بن بكتكين بن محمد السلطان المعظم ابو سعيد ابن صاحب اربل الأمير زين الدين ابي الحسن علي كوجك التركماني، تولى حران ثم التحق لخدمة السلطان صلاح الدين وشهد معه مواقف كثيرة وثبت يوم حطين، كان كثير الانفاق. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، 402/45-403.

[38] الذهبي، تاريخ الإسلام،403/45

[39] ابو الخطاب عمر: بن ابي بكر بن عبدالله بن قيس بن ابي القاسم اليافعي المعروف بالهزاز، القاضي الورع

[40] علي الخزرجي، ابو الحسن موفق الدين بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن وهاس (ت812هـ)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تحقيق: محمد بن علي الاكوع الحوالي، مركز الدراسات والبحوث اليمني،(صنعاء-1403هـ)، 74/1.

[41] حسان بن سعيد: بن حسان بن محمد المخزومي المنيعي ابو علي الشيخ الجليل، الحاج، الرئيس، شيخ الإسلام المحمود بالخصال السنية، عم الافاق بخيره وبره، كان في شبابه تاجراً ثم عظم شأنه حتى صار مجالساً للسلاطين الذين لم يستغنوا عن رأيه، كان كثير الانفاق وبنى جامع مرو والجامع الجديد في نيسابور، له مناقب جمة، توفي سنة 463للهجرة. ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة،ط3، (د.م-1405هـ)،267-265/18.

[42] ابن كثير، البداية والنهاية،126/12؛ الذهبي، سير ، 267-266/18.

[43] ابي منصور الشيحي: عبد المحسن بن محمد بن علي البغدادي المحدث التاجر السفار، روى عن ابن غيلان والعتيقي وطبقتهما، وسمع بدمشق ومصر والرحبة، وسمع وحصل الأصول ، ولد سنة 421 وتوفي في سنة 489هجرية. الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، (بيروت-د.ت)، 360/2.

[44] الذهبي، العبر،360/2.

[45] ابن الجوزي، المنتظم، 341/14.

[46] ابو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد(ت463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت-1422هـ)، 360/4.

[47] ابن الجوزي، المنتظم، 238-137/15.

[48] المؤلف مجهول، مناقب بغداد، تحقيق: محمد بهجت الاثري البغدادي، مطبعة دار السلام، (بغداد-1342هـ)، ص26.

[49] ماجد، عبد المنعم، تاريخ الحضارة في العصور الوسطى، ط5، (القاهرة-1986م)، ص78.

Corresponding author:

[50])القفطي، جمال الدين ابو الحسن(ت646هـ)، تاريخ الحكماء، تحقيق: فون يوليويليبرت ، (المانيا-1903م)، ص164؛ ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابو العباس(ت 688هـ)، عيون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، مكتبة الحياة، (بيروت-د.ت)، ص183.

[51])ابن العماد، شهاب الدين ابي الفلاح عبد الحي(ت1089هـ)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمد الارناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق-1985م)، 239/5.

[52])ابن العبري، ابو الفرج غريغور يوساهارون الملطي(ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت-1997م)، ص685.

[53]ابن الاثير، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد(ت630هـ)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق: عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة، (القاهرة-1963م)، ص171.

[54]الجومرد، عبد القادر، هارون الرشيد، وزارة الثقافة والاعلام العراقية، (العراق-1984م)، ص561.

[55] سنان بن ثابت بن قرّة بن مروان الصابي كان يلحق بأبيه فِي معرفة علومه تمهر في الطب وكانت له قوة بالغة في العلم وخدم المقتدر والراضي بالطبّ وأرادهُ القاهر ان يجبره على الإسلام فخاف وخرج الى خراسان ثم اسلم بعد ذلك وعاد الى بغداد وتوفي بها سنة 331هجرية ولهُ عدة تصانيف. الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك(ت764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، (بيروت–1420هـ)، 281/15–282.

[56]عيون الانباء، ص301.

[57]ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص301.

[58]القلقشندي، ابو العباس احمد(ت821هـ)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق: يوسف الطويل، دار الفكر،(بيروت-1987م)، 409/3.

[59]ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص316.

Corresponding author: